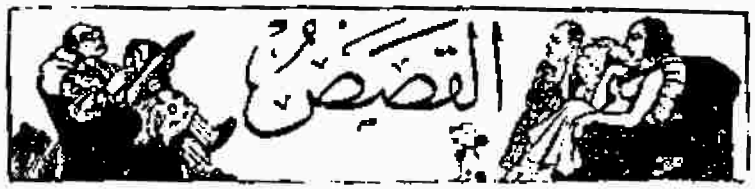

أسطورة الديك الذهبي (*)

لألكسندر بوشكين

كان يجلس على عرش مملكة قوية ، لن أذكر اسمها ، قيصر اسمه دادون ، لا شبيه له في الرجال . ولما كان دادون شجاع القلب ، فإنه لم يترك واحداً من جيرانه دون أن يشن عليه الحرب . أما وقد كبر الآن فقد رأى أن يتيح لجسمه المرهم شيئاً من الدعة والاطمئنان . غير أن الأعداء انتهزوا الفرصة ، فهاجموا المملكة من دون رحمة ، ونهبوا القرى ، وطحنوا جيش دادون طحناً . أما جنوب المملكة فقد كان محصناً ، والشرق هو الجهة التي كان يأتي منها العدو .

وفي ذات يوم نزلت بالشواطئ كتيبة عاصفة ، فاضطرب القيصر أيما اضطراب ، وهجر النوم جفنيه . خيل إليه أن حياته لم تكن في يوم ما أمرّ منها الآن ، فلم ير إلا أن يطلب العون من منجم الدولة ، ذلك الخصي الشيخ المتمثل حكمة ومعرفة .. أبي الخصي النداء ، وجاء البلاط يحمل في حقيبته ديكاً ذهبياً ، وقال : ليأمر مولاي بنصب هذا الديك على عمود من الخشب ، فيحرس المملكة . فإنه إذا لم يكن ثمت خطر ظل هادئاً مطمئناً ، فإذا لاح الخطر في الأفق انتفض من مكانه ، وانتفخ عرفه الأحمر ، وصاح صيحة تنبه القوم ، وأشار إلى الجهة التي يأتي منها العدو » .

فرح القيصر لهذا الحل السعيد ، وقال : سأعطيك في مقابل هذا ما تريد . ستكون رغبتك رغبة القيصر أين شئت ومتى أردت » .

وجثم الديك في مكانه يسهر على المملكة ، بينما أوى القيصر الهرم إلى فراشه ينعم بالنوم الهنيء ، ولا يلقي بالاً إلى حوادث الزمن . ولم يعد الخطر يدهم الناس ، ولم تعد تجاح الدول تهدد القيصر العجوز .. دادون ! ...

فلما مر عامان كاملان ، إذا بأصوات تزلزل الأفق وتطرد النوم الهني عن عيون الناس . وأقبل قائد الجيش صائحاً : قيصري وسيدي ، انهض فالمملكة في حاجة إلى ابنيك الباسلين ! تأوه القيصر ثم قال : ما الخبر ؟ فأجاب قائد الجيش : الديك صاح .. والناس في رعب شديد . وتلفت القيصر حواليه ، وأرهف السمع ، فإذا صيحات من الشرق ، وإذا الديك قائم منتفض يصيح : كوكو .. روكو ! .. كوكو .. روكو ! فالتفت القيصر إلى القائد صارخاً : أعدوا الجياد .. أعدوا السلاح ... انطلقوا سريعاً إلى الحدود ! . وإلى الشرق طار الجيش الكثيف بقوده الابن الأكبر لدادون .. حينئذ هدأت ثورة الديك ، وكف عن الصياح ! .

مضت أيام ثمانية ولم يأت من الجيش خبر : أقاتل ، أم فر ؟ صه .. ! صه .. ! لقد صاح الديك من جديد — فليذهب الجيش الثاني إلى الشرق وعلى رأسه الابن الثاني لدادون . نعم ، وفي هذه المرة أيضاً مرت أيام ثمانية ولم يأت الخبر ! فلما صاح الديك للمرة الثالثة ، هب دادون العجوز ، وقاد سائر الجند بنفسه ، ومضى إلى الشرق وهو يطمئن الناس ، وإن لم يكن هو في دخيلة نفسه بمطمئن ...

ساروا الليل والنهار حتى أدركهم التعب وهدت قوائم . هذا والقيصر في عجب ودهشة : لا دليل على معركة ... ولا آثار لساحة ... ولا معسكر ... ولا رجعة يثوى تحتها بطل ...

في نهاية اليوم الثامن ، صعد القيصر في شعاب تل ، وصعد خلفه الجنود — فماذا رأوا ؟ !

بين قنتين من الصخر رأوا خيمة من الحرير قائمة ! كان صمت عجيب يسيطر على المكان .. وفي مجرى ضيق بسفح الجبل ، وجد القيصر أبطاله الذين أرسلهم مذبوحين ... وأمام باب الخيمة وجد ابنيه الأكبر والأصغر ، كلا ملقى بلا دروع ، وقد أغمد سيفه في جنب أخيه . كان الكلا مصبوغاً بالدم ، والجياد تمرح في الوديان

(*) على هذه الأسطورة أنشأ رمسكي كورسا كوف جانباً من احدى أوبراته وهي « الديك الذهبي »

والقيصر المسكين يولول فى جنون : آه يا ابنى ! أكلا النسرين صاده الصياد . . وا ضيعتى ، وا ضيعتى ! ! » وناحت الجنود لنواحه ، ورددت الآفاق الصدى ، فكأنما شارك الجماد فى الحزن والأنين ...

وعلى حين فجأة انشق ستار الخيمة عن ملكة شاماخان تلمع لمعان الشروق ، أومأت إلى القصر محيية ، فلاح دادون وكأنه طير من طيور الليل فى سناها الخاطف ، سمرت هيفاء فى جمالها ، وطار من رأسه كل حزن وأسى على ابنيه اللذين لقيا الهلاك . وتبسمت هى لدادون ، ثم انحنت قليلا ، فأمسكت بيده وقادته إلى داخل خدرها ، وقدمت إليه طعاماً ملكياً فاخراً ، فلما تناول منه ، قادته إلى أريكة موشاة بالذهب ، مسترة بالحرير .

سبعة أيام وسبع ليال ، والقيصر « دادون » ينهل من السرور ، ويطيع الملكة طاعة عمياء . ثم حان الرحيل ، فتأهبت الجنود ، وهيئوا الركاب ، وسار الجميع فى طريقهم إلى عاصمة الملكة ..

كان الناس قد بلغهم الخبر ، فإذا جموع هائلة بأبواب المدينة ، وإذا هتاف عال يستقبل الركب : عاش دادون ! عاشت الملكة ! عاش دادون ! عاشت الملكة !

ولكن من هذا الرجل الأبيض الرأس واللحية الذى يشق الجموع ليلحق بعربة القيصر ؟ إنه الحصى الحكيم !

أقبل على القيصر يقول : تحيتى يا مولاى ! فقال القيصر : ما فا تريد ؟ قال : حساب بيننا يا سيدى ... لقد أقسمت أن تجيب رغبتى ... إنى أريد هذه الفتاة ... ملكة شاماخان !

فصرخ الملك دهشاً : إنك تهذى ... ما نفع فتاة لحصى ؟ اطلب شيئاً آخر نأقدمه إليك ... اطلب خير ما فى خزائنى من جياد ، أو مرتبة من مراتب الحكم ، أو إن شئت فاطلب ذهباً ... حتى نصف ما فى المملكة !

قال الساحر : لا شىء مما يوهب يستحق أن يرغب فيه ... إنى لا أطلب غير ملكة شاماخان !

جن القيصر من الغضب وصاح : لقد أخطأت فى تقدير نفسك أيها العبد ... لم يكن جديراً بى أن أتركك تتحدث !

وبصولجانه قرع دادون هامة الحصى قرعة شديدة ، فسقط الرجل على الأرض ميتا !

وحينئذ اهتزت المدينة اهتزازاً شديداً ارتجف له قلب دادون! ولكن الفتاة علا ضحكها فى تلك الساعة ... فما كان منه إلا أن تكلف الابتسام ، وأمر بمواصلة السير ...

وعلى حين فجأة سُمع صوت صفير ، وإذا بالديك الذهبى يطير إلى العربة الملكية ، وإذا به يستقر على هامة القيصر ، فنفض ريشه أولا ، ثم تقر دادون فى وسط هامته ، ثم حلق فى الجو عائداً إلى السماء ...

ونزل القيصر من العربة ، فإذا به يسقط على الأرض بدوره ، وإذا به يئن أنة واحدة ... ثم يسلم الروح !

أما الملكة ، فإن أحداً لم يرها بعد ، وكأنها لم تكن هناك ! !

إن الأساطير وإن بعدت عن الحقائق قد يستفيد منها اللبيب عظة أو اثنتين . .

يوسف جبرا

إعلان

يعلن مجلس مديرية الدقهلية عن خمس وظائف كتابية فى الدرجة الثامنة ويشترط لمن يتقدم لشغلها أن يكون حاصلا على دبلوم التجارة المتوسطة أو الشهادة التوجيهية .

وتقدم الطلبات على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . برسم حضرة صاحب السعادة رئيس مجلس مديرية الدقهلية فى ميعاد غايته ٣٠ مايو سنة ١٩٤٩ .

١٦٩٨